اللغة العربية بأسيوط
المجـــلة العلميـــة

تداول السلطة
في الأندلس في عصر الإمارة الأموية
(١٣٨ - ٣١٦هـ / ٧٥٥ - ٩٢٩م)

إعداد

د/ وليد محمد إبراهيم محمود

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بقسم التاريخ والحضارة

(العدد التاسع والعشرون – الجزء الأول يوليو ٢٠١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

تداول السلطة في الأندلس في عصر الإمارة الأموية

(١٣٨ ـ ٣١٦هـ / ٧٥٥ ـ ٩٢٩م)

لم يكن اعتلاء عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم المعروف بالداخل (١٣٨ ـ ١٧٢هـ) كرسي الإمارة في الأندلس مرحلة فارقة في تاريخ الأندلس الإسلامي فحسب ، وإنما كذلك بعثاً للحكم الأموي الذي انهار في المشرق على يد العباسيين، فعلى يديه وبتوليه حكم الأندلس ظهر عصر الإمارة الأموية في الأندلس والذي امتد حتى عام ٣١٦هـ في عهد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ) حين أعلن نفسه في يوم الجمعة مستهل ذي الحجة من عام ٣١٦هـ خليفة في الأندلس ليظهر بذلك عصر الخلافة الأموية في الأندلس .[١]

والمتأمل في هذه الفترة يجد أن هناك ناحية مهمة من التاريخ السياسي لعصر الإمارة تحتاج لإلقاء مزيد من الضوء عليها ، وهي جزئية تداول السلطة بين أمراء بني أمية في الأندلس وكيف صارت ، بداية من ولي العهد وكيفية وضوابط اختياره ، مروراً بأشكال انتقال السلطة وتداولها ، وحتى تنصيب الأمير ومظاهره .

فقد حكم الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأندلسي في

---

[١] ابن عذارى : أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي(ت ٧١٢هـ) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢ تحقيق / ج . س . كولان ، ليفي بروفنسال، ط دار الثقافة العربية ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ، ص١٩٨.

الفترة ما بين عامي ١٣٨هـ وحتى ١٧٢هـ[٢]، شهدت الأندلس في عهده اضطرابات وثورات كان لها الداخل بالمرصاد حتى استطاع تثبيت حكم بني أمية في الأندلس .[٣]

ثم خلفه في حكم الأندلس ابنه وولي عهده الأمير هشام بن عبد الرحمن فأحسن السيرة في رعيته ، فقد كان خيراً فاضلاً جواداً كريماً ، عرف بـ" الرضا " لعدله وفضله .[٤]

وفي صفر من سنة ١٨٠هـ توفى الأمير هشام وولى بعده ابنه الأمير الحكم بن هشام المعروف بـ" الربضي " وهو الذي أوقع بأهل منطقة " الربض " فنسب إليه ، وأمر بهدم هذه الناحية وتعطيلها بعد ثورتهم عليه ، وصير ذلك وصية فيمن خلفه وعهداً على بنيه ما كان لهم سلطان بالأندلس ، فلم يعمر ولا اختطت فيه دار إلى أخر دولتهم .[٥]

ثم كانت إمارة الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الأمير الحكم بن هشام في ذي الحجة من سنة ٢٠٦هـ وكانت مدته ما يزيد على إحدى وثلاثين سنة ، عرف عنه أنه كان فصيحاً مفوهاً شاعراً ، مع سعة العلم والحلم ، وهو الذي استكمل فخامة الملك في الأندلس ، وظهر في أيامه الوزراء

---

[٢] هناك اختلاف في تاريخ وفاة الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، حيث يضعه بعض المؤرخين في سنة ١٧٢هـ بينما يضعه البعض الآخر في ١٧١هـ ، والتاريخ الأول أرجح . راجع محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ـ القسم الأول ، ط مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص١٩٣ .

[٣] المقرى:شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمساني(ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ١ ، تحقيق د / إحسان عباس ، ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص٣٢٧ ـ ٣٢٩ .

[٤] مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق د / محمد زينهم محمد عزب ، ط دار الفرجاني ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص١١٠ .

[٥] ابن الأبّار : أبو عبد الله محمد بن الأبّار القضاعي (ت ٦٥٨هـ) : الحلة السيراء ، جـ١ تحقيق د / حسين مؤنس ط دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م ، ص٤٣ ـ ٤٤ . د / أحمد إبراهيم شعراوي : هياج الربض ثورة شعبية على الحكم الأموي الأندلسي : بحث منشور بندوة الأندلس الدرس والتاريخ ، برعاية كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ، ورابطة الجامعات الإسلامية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص٣٧ ـ ٥٩ .

والقواد ن وشيد القصور ، حتى كانت وفاته في ربيع الآخر من سنة ٢٣٨هـ .[٦]

ليخلفه في حكم الأندلس ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن الصالح العفيف بمعاونة فتيان القصر ، بعد أن فضلوه على أخيه عبد الله ، فأقر رجال أبيه على الوزارة والكتابة ، وأحسن السيرة في أهل الأندلس ، وتصدى للخارجين على حكمه .[٧]

استمرت إمارة الأمير محمد بن عبد الرحمن حتى وفاته نهاية صفر من سنة ٢٧٣هـ ، فكانت البيعة لابنه وولى عهده الأمير المنذر بن محمد ـ رحمه الله ـ فقد كان من أهل العقل والسخاء والإكرام لأهل العلم والصلاح ، والاصطناع لكل من أخذ بحظ من علم وأدب .[٨]

وبعد سنتين كانت وفاة الأمير المنذر ليخلفه في صفر من عام ٢٧٥هـ أخوه الأمير عبد الله بن محمد في حكم الأندلس لمدة خمس وعشرين سنة ، وقد كان أديباً ، شاعراً ، بليغاً ، بصيراً باللغة والغريب ، وأيام العرب .[٩]

ولم يخلف الأمير عبد الله بن محمد أحد أبنائه في حكم الأندلس ، وإنما كان خليفته وولي عهده حفيده الأمير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الملقب بعبد الرحمن الناصر ، فقد ألقى الله على عبد الرحمن هذا الحفيد محبة من جده ، فأسكنه في مسكنه ، وكان يحظيه من دون بنيه، ويومئ إليه ، ويرشحه لأمره ، فتعلقت آمال الدولة به ، ولم يشكوا بمصير الأمر إليه ، فلما مات

---

(٦) ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت ٤٦٩هـ) : المقتبس من أنباء أهل الأندلس تحقيق د / محمود علي مكي ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص١٥٨ . ابن الأبّار : الحلة السيراء ، جـ١ / ١١٣ ـ ١١٤ .

(٧) ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ) : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق / إبراهيم الأبياري ، ط دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ـ القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص٩١ ـ ٩٥ .

(٨) المصدر السابق ، ص١١٣ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ـ ق١ ، ص٣١٠ .

(٩) ابن الأبّار : الحلة السيراء ، جـ١ / ١٢٠ . ج . س كولان : الأندلس ، ترجمة/ إبراهيم خورشيد ، د / عبد الحميد يونس ـ حسن عثمان ، ط دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م ، ص١١٩ .

الجد أقعد على سريره دون ولده وإخوته.[١٠]

ولى الأمير عبد الرحمن الناصر الأندلس في مستهل شهر ربيع الأول من سنة ٣٠٠هـ ، عند وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد ، حتى توفى ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة ٣٥٠هـ ، فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، لم يبلغها خليفة قبله ، فهو أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً ، وأفخمهم في القديم والحديث شأناً ، وأطولهم في الخلافة ـ بل أطول ملوك الإسلام قبله ـ مدة وزماناً .[١١]

وفي عهده، وتحديداً في يوم الجمعة مستهل ذي الحجة من عام ٣١٦هـ كانت نهاية عصر الإمارة الأموية في الأندلس ، وبداية عصر الخلافة ، حيث أعلن نفسه أميراً للمؤمنين في الأندلس ، فبعد أن ظهرت الدعوة الفاطمية في إفريقية ، ونمت بسرعة في أوائل القرن الرابع الهجري، ولما تواترت الأنباء من جهة أخرى ، عما انتهت إليه الدولة العباسية في المشرق من الاضطراب والفوضى ، وما حدث من استبداد موالي الترك بالأمر وحجرهم على الخلفاء ، ورأي عبد الرحمن أن يتسم بسمة الخلافة ، وأن يسترد بذلك تراث أسرته الروحي ، وأنه بما وفق إليه من النهوض بالدولة الإسلامية وتوطيد أركانها ، أحق بألقاب الخلافة من دولة منحلة وأخرى طارئة .[١٢]

وبعد ... هذا عصر الإمارة الأموية في الأندلس بداية بالأمير عبد الرحمن الداخل وانتهاءاً بالأمير عبد الرحمن الناصر ، ومن المعروف أنه قبل انتقال الحكم من أمير إلى أمير كان يسبق ذلك فترة يقضيها الأمير اللاحق كولي للعهد ، يتدرب فيها على مهام الحكم ، ويتعرف على الأمور الموكلة إليه ، ويطمئن الرعية على مستقبل دولتهم بين يديه ، وهذا ما يتناوله المبحث القادم .

---

[١٠] ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت٧٧٦هـ) : أعمال الأعلام ، تحقيق / ليفي بروفنسال ، ط دار المشكوف ـ لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٥٦م ، ص٢٩ .

[١١] ابن الأبّار : الحلة السيراء ، جـ١ / ١٩٧ . د / شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات في الأندلس ، ط دار المعارف ـ مصر (بدون تاريخ) ، ص٣٠ .

[١٢] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ / ١٩٨ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ـ ق٢ ، ص٤٢٩ . د / أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ١٩٩٧ ، ص٥٥ .

المبحث الأول

ولاية العهد في الأندلس في عهد الإمارة الأموية

انتقل بنو أمية من المشرق إلى الأندلس بحقهم في الإمامة والإمارة، كما حملوا معهم أفكارهم في الحكم والسياسة ، ومن أهمها ولاية العهد ، التي لم تعد خاصة بالبيت الأموي بل صارت جزءاً مهماً من قواعد الحكم في شتى أنحاء الدولة الإسلامية والأنظمة الحاكمة المعاصرة لهذه الفترة الزمنية .

وعنها يقول ابن خلدون [١٣] : " اعلم أنا قدمنا الكلام في الإمامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وأن حقيقتها النظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به قبل وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده إذ وقع بعهد أبي بكر ــ ﷺ ــ لعمر ــ ﷺ ــ بمحضر من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر ــ رضي الله عنه وعنهم ــ ... " .

وعلى هذا ظهرت أيضاً ولاية العهد في الأندلس في عصر إمارة بني أمية حيث كان الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل هو أول من أخذ البيعة لابنه عبد الرحمن بن الحكم ، أما الأميران عبد الرحمن الداخل وهشام بن عبد الرحمن ، فلم يأخذ أي منهما البيعة بولاية العهد لأحد من أبنائه إلا أنه حاول كل منهما تأهيل من رآه من بنيه يصلح لخلافته في إمارة الأندلس ، فقاد بنوهم الجيوش وأطلعوا ببعض من أعباء الحكم ، حتى وإن لم ينص عليهم صراحة لولاية العهد ، فإنهم ظهروا بمظهر أنهم أقدر من يقوم بأعباء حكم الأندلس .

ويمكننا توضيح طبيعة ولاية العهد في هذه الفترة فيما يلي :

أولاً : ضوابط المفاضلة في اختيار ولي العهد :

---

[١٣] ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : مقدمة ابن خلدون ، ط دار ابن خلدون ــ مصر (بدون تاريخ) ، ص١٤٧ .

في عصر الإمارة الأموية في الأندلس انتقل الحكم من أمير إلى آخر سبع مرات ، في خمس منها انتقل الحكم من الأمير إلى ابنه ، وفي واحدة من الأمير إلى أخيه ، أما الأخيرة فكانت من الأمير إلى حفيدة . إلا أن اختيار ولي العهد في كل المرات خضع لضوابط ــ وإن لم يكن منصوص عليها ــ إلا أننا يمكننا حصرها ، وإعطاء الأمثلة عليها فيما يلي:

أ) رؤية الأمير وثقته فيمن يخلفه :

كان للأمير الأموي الحاكم للأندلس الدور الرئيس في اختيار ولي عهده أو من يخلفه في الحكم ، بدأ ذلك مع أول تداول للسلطة بين الأمراء الأمويين .

" قيل إن عبد الرحمن بن معاوية ــ رحمه الله ــ لما حضرته الوفاة، وابنه هشام بماردة [١٤] ، وابنه الآخر سليمان بطليطلة ، وكّلَ ابنه عبد الله المعروف بالبلنسي ، وقال له : " من سبق إليك من أخويك ، فارم إليه بالخاتم والأمر ! فإن سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه ، وإن سبق إليك سليمان ، فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين إليه ! " فقدم هشام من ماردة قبل سليمان ، فنزل بالرصافة [١٥] ، وخاف من عبد الله أخيه إذ صار متمكناً من قرطبة والقصر والأموال ــ أن يدافعه . فخرج إليه أخوه عبد الله ، وسلم عليه بالخلافة ، ودفع إليه الخاتم كما أوصاه أبوه ، وأدخله القصر " . [١٦]

ثم كانت رؤية الأمير هشام بن عبد الرحمن فيمن يخلفه ، فأشار بابنه الحكم بن هشام ، مع أنه كان له من الأولاد الذكور عبد الملك الأكبر، والحكم الوالي بعده ، ومعاوية ، والوليد ، وعبد

---

[١٤] ماردة : تقع بين الغرب والجوف (الشمال) من مدينة قرطبة ، ومسيرة ما بين قرطبة وماردة للراكب القاصد خمسة أيام ، وللمشاة عشرة أيام . ابن الشباط: محمد بن علي بن محمد (ت ٦٨١هـ) : وصف الأندلس وصقلية المعروف بـ(صلة السمط وسمة المرط) ، تحقيق د / أحمد مختار العبادي ، ط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١م ، ص١٤٧ .

[١٥] الرصافة : ويقصد بها رصافة قرطبة وهي مدينة أنشأها عبد الرحمن بن معاوية الداخل وهو أول من ملك الأندلس من بني أمية بعد زوال ملكهم بالمشرق ، وسماها الرصافة تشبيهاً برصافة بغداد . ياقوت الحموي : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ) : معجم البلدان ، جـ٣ ، ط دار الفكر ــ بيروت (بدون تاريخ) ، ص٤٨ .

[١٦] ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ / ٦١ ــ ٦٢ .

العزيز. [١٧]

ومع ذلك فضّل ابنه الحكم ، وقبل وفاته ترك له وصية ليستأنس بها في حكم الأندلس جاء فيها : " يا بني يجب أن لا تنس أن الملك لله يعطيه من يشاء ويأخذه ممن يشاء ... كن رقيقاً حازماً مع قواتك وجيوشك حينما تعوزك الضرورة إلى وضع السلاح في أيديهم ، واجعلهم حماة الدولة لا مخربيها ... وختم هشام وصيته ونصائحه لابنه الحكم بقوله : وعلى الجملة فاحكم بطريقة تجعل ألسنة شعبك تلهج بشكرك وهم يعيشون سعداء في ظل حمايتك وعطفك ، يجنون مباهج الحياة في ثقة وهدوء ، ففي كل هذا يكون الحكم الصالح ، فإذا استطعت تحقيق ذلك كنت سعيداً وجنيت الشهرة كأعظم أمير في العالم " . [١٨]

فكان اختيار الأمير هشام لابنه الحكم يخضع أولاً وأخيراً لرؤيته وثقته فيمن يخلفه ، بغض النظر عن وجود ابنه عبد الملك الأكبر ، أو أي من سائر أبنائه الآخرين .

كذلك كانت ثقة الأمير محمد بن عبد الرحمن في ابنه المنذر ليخلفه هي المرجحة ، فقد جاءه خبر وفاة أبيه بغتة وهو على رأس جيش فيمدينة ريه [١٩] ، يحارب الثائر عمر بن حفصون [٢٠] بأمر من أبيه ، وكان المنذر ــ ولي العهد ــ محبباً إلى العامة فلم ينازعه أحد بل إنه أوكل من

---

[١٧] النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ٢٣ تحقيق د / أحمد كمال زكي ، مراجعة د / محمد مصطفى زيادة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ، ص٣٥٨ .

[١٨] د / محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية (٦٤ ــ ٨٩٧هـ / ٦٨٣ ــ ١٤٩٢م) " دراسة ونصوص،ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص١٣٥ ــ ١٣٦ .

[١٩] ريه : كورة عظيمة بالأندلس مدينتها أرجزونة ، ولها مدن كثيرة منها مالقة وغيرها . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ١ / ١٩ . الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت ٥٥٩هـ) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق جـ٢ ، ط عالم الكتب ــ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م ، ص٥٣٧ .

[٢٠] عمر بن حفصون : هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أدفونش القس ، هو الذي افتتح الخلاف بالأندلس ، وفارق الجماعة أيام محمد بن عبد الرحمن في سنة السبعين والمائتين خرج بجبل بربشتر من ناحية رية ومالقة ، وانضم إليه الكثير ممن في قلبه مرض ، فاستولى على غرب الأندلس واستمرت ثورته حتى وفاته في عام ٣٠٦هـ في عهد عبد الرحمن الناصر. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٤ / ١٣٤ ــ ١٣٥ .

يكمل حرب ابن حفصون من القواد والجيش ، ثم عاد إلى قرطبة فشهد جنازة أبيه وأخذ البيعة لنفسه .[٢١]

وكان منذ فتوته أثيراً عند أبيه بين أبنائه الثلاثة والثلاثين ، مستأثراً بثقته وولاية عهده ، يختاره لجلائل الأمور ، ويندبه لقيادة الجيش كلما جد الخطب .[٢٢]

أما آخر أمراء عصر الإمارة الأموية في الأندلس ، الأمير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالناصر ، فقد كانت محبة جده الأمير عبد الله بن محمد له ، وثقته فيه سبباً رئيساً في تقديمه لإمارة الأندلس حتى في وجود أعمامه وأعمام أبيه .

يذكر لسان الدين بن الخطيب [٢٣] : " ألقى الله على عبد الرحمن هذا الحفيد محبة من جده وشفقةً كنفه لها في حجره ، وأسكنه في مسكنه ، وكان يحظية من دون بنيه ، ويومي إليه ، ويرشحه لأمره ، ويقعده في الأعياد والمواسم مقعد نفسه ، ويأمر بالسلام عليه ، فتعلقت آمال الدولة به ، ولم يشكوا بمصير الأمر إليه ، فلما مات الجد ، أقعد على سريره دون ولده وإخوته ، وتهيأ له ذلك من دون منازع لسكناه بقصره، وقيل إنه بريء إليه بخاتمه إمارة على استخلافه ، فكان أول من بايعه أعمامه ، وتلاهم إخوة جده ثم من سواهم " .

ب) أكبر الأبناء :

كان من عوامل الترجيح بين الأبناء أن يقدم الأمير أكبرهم سناً لولاية عهده ، إلا أن تكون للأمير نظرة أخرى فيمن يخلفه من أبنائه ، مما يجعله يتحول عن ابنه الأكبر ، وعموماً أكبر الأبناء هو دائماً المقدم لولاية العهد ومن ذلك :

ما حدث عندما مرض الأمير الحكم بن هشام واستطالت به العلة، فاستناب عنه في أواخر عهده عبد الرحمن أكبر أولاده لتدبير الأمور، واختاره لولاية عهده ، وأخذ له البيعة بالفعل ، وكان الحكم أول أمير من أمراء بني أمية بالأندلس أخذ البيعة في حياته لولي عهده ، وذلك خشية وقوع

---

[٢١] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١٠٨ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص٢٤ . مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص١٢٤ .

[٢٢] عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ١٤ ــ ق ١ / ٣١٧ .

[٢٣] أعمال الأعلام ، ص٢٩ .

الخلاف بعد موته ، ثم توفى الحكم في ذي الحجة من سنة ٢٠٦هـ . [٢٤]

وكان الحكم قد أعد ابنه عبد الرحمن المعروف بالأوسط لتسلم ولاية عهده فأحسن إعداده ، وعنى بتعليمه وتثقيفه وتزويده بالعلوم ، ثم أورثه ملكاً واسعاً ثابتاً مستقراً عرف كيف يدبر أموره وينظم شئونه فيما بعد. [٢٥]

واقعة أخرى في تاريخ تداول السلطة في عصر الإمارة الأموية في الأندلس ، كان لكبر السن أيضاً دور رئيس في التقديم لولاية العهد ثم كرسي الإمارة .

وهو ما ذكره مؤرخ الأندلس ابن حيان : في خبر مطول عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم وكيفية انتقال السلطة منه إلى ابنه محمد بكر أبيه ، فقد حاولت " طروب " محظية الأمير إثناءه عن ابنه الأكبر محمد ، وجعل ولاية العهد في ابنها عبد الله ، واستعانت في ذلك بالحاجب نصر الخصي المقدم عند الأمير ، الذي لم يتوان في الدعاية لعبد الله عند الخاصة والعامة بالترغيب والترهيب ، ولم يفشل هذه الخطة سوى رفض الأمير عبد الرحمن القاطع لتجاوز ابنه الأكبر محمد إلى أخيه الأصغر عبد الله ، مما حزا بنصر الخصي لتدبير مؤامرة دس بها السم للأمير ، كشفت سريعاً بواسطة الطبيب ، أودت في نهايتها بحياة الحاجب نصر ، واستمرار إسناد ولاية العهد للأمير محمد خليفة أبيه في حكم الأندلس فيما بعد . [٢٦]

وهكذا كان تقدم السن من عوامل التفضيل بين ابن وآخر من أبناء الأمير الأموي ، واتخذ كضابط مهم من ضوابط الاختيار لولاية العهد أو التقديم لخلافة الأمير ، بشرط الكفاءة مع تقدم السن .

جـ) قوة ولي العهد وسيطرته :

---

[٢٤] ابن الأبّار : الحلة السيراء ، جـ١ / ٤٦ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢/٧٧ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١٤ ــ ق١ ، ص٢٤٧ ــ ٢٤٨ .

[٢٥] د / عبد المجيد النعنعي : تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ــ التاريخ السياسي ط دار النهضة ــ بيروت (بدون تاريخ) ، ص٢٠٥ .

[٢٦] ابن حيان : المقتبس ، ص١٤٩ ــ ١٥١ .

من عوامل اختيار ولي العهد قوته وقدرته على السيطرة على مقاليد أمور الدولة ، فبلاشك أن كل من تولوا حكم الأندلس ومن قبله ولاية العهد ، أو حتى أشير بهم للحكم بدون تسميتهم لولاية العهد ، كانوا على قدر كبير من الكفاءة ظهرت في حياة الأمير السابق عليهم ، حتى أثبتوا القدرة على تحمل مسئولية حكم الأندلس .

ولكن هناك حالات استطاعت السيطرة المبكرة على زمام الأمور سواء في حياة الأمير أو بمجرد وفاته ومنها :

ما يذكر من أن الأمير الحكم بن هشام أصيب بمرض صحبه سبعة أعوام ، وعندما اشتد المرض به في آخر حياته أخذ البيعة لابنه عبد الرحمن ثم للمغيرة من بعده ، وفي فترات المرض كان عبد الرحمن هو المدبر لأمور الأندلس ، وعندما توفى الحكم لم يجد عبد الرحمن كبير عناء في انتقال السلطة إليه ، أو في إدارة أمور الدولة التي اعتادها .[٢٧]

أما الأمير محمد بكْر الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، والذي فشلت محاولة إزاحته من ولاية العهد وتولية أخيه عبد الله بسبب إصرار الأمير عبد الرحمن عليه ، فقد أثبت أيضا كفاءة كبيرة بقوته وسيطرته السريعة على أمور القصر والدولة .

يذكر ابن القوطية [٢٨] : مجازفة الأمير محمد بالذهاب ليلاً إلى قصر الحكم بصحبة الفتى الخصي " سعدون " ، الذي جاءه مستدعياً إياه لوفاة والده، مع علم الأمير محمد بما في ذلك من خطر لوجود أخيه عبد الله بن محظية والده المسماة " طروب " في داخل القصر وسط الموالين له ولوالدته ، إلا أنه أسرع إلى القصر مجازفاً بحياته ، فدخل متخفياً بصحبة الفتى ، حتى تحقق من وفاة والده الأمير عبد الرحمن ، فأرسل في طلب الوزراء والخدم والموالي ووجهاء الأندلس ، وتمت بيعته وأمسك بزمام الأمور وثبتت له الإمارة على الأندلس خلفاً لوالده .

أما عبد الله بن محمد فقد انتقل إليه حكم الأندلس بعد أن استقدمه أخوه الأمير المنذر بن

---

[٢٧] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٧٢ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٧٧ .

[٢٨] تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩١ ــ ٩٥ .

محمد المحاصر للثائر عمر بن حفصون عند أسوار مدينة بربشتر [٢٩]،وهناك كانت وفاة الأمير المنذر ، وبغض النظر عن الروايات التي تتهم عبد الله في قتل أخيه ، والتي نتناولها في موضعها ، فإن عبد الله استطاع جمع شمل الجيش فأخذ البيعة لنفسه ، وعلى إثرها ارتد الأمير عبد الله مع جيشه عائداً إلى قرطبة ، ومعه جثمان الأمير المنذر، ودفن في مقبرة القصر ، واستتم الأمير عبد الله البيعة لنفسه دون أن يعارضه أحد من إخوته العديدين . [٣٠]

ثانياً : مهام ولي العهد وأعماله :

في فترة ولاية العهد أو التجهيز لخلافة الأمير أوكلت بعض المهام والأعباء لمن يقع عليه الاختيار ، أو حتى من يكون تحت الاختبار ــ من جهة ــ لمعرفة إمكانياته وقدرته على القيادة ، ومن جهة أخرى لتدريبه وتدعيم قدراته القيادية ، ومن أهم هذه المهام ما يلي :

أ) الخروج على رأس الجيش :

في بعض الأحيان نرى الأمير يستعيض عن خروجه بنفسه على رأس الجيش بإسناد المهمة إلى ولي عهده ، ثم يوكل قيادة الجيش إلى أحد المحنكين من القادة أو الوزراء ، وذلك لتدريب ولي العهد ، ولإشعال الحماسة بين الجند وهم يرون أميرهم أو ولي عهده بنفسه على رأس الجيش ومن ذلك .

ما ذكره ابن عذارى [٣١] : في حوادث عام ٢٦٠هـ من إخراج الأمير محمد بن عبد الرحمن ابنه وولي عهده المنذر على رأس جيش لإخضاع بعض الثغور ، ومحاربة الخارجين على الأمير ، وقد تكرر ذلك في حوادث أعوام ٢٦٢هـ ، ٢٦٣هـ ، ٢٦٤هـ ، ٢٦٨هـ ، ٢٧٣هـ ، كل ذلك كان تدريباً للأمير المنذر وتقوية له وتثبيتاً لأحقيته في حكم الأندلس .

كذلك نرى الأمير المنذر بن محمد وهو على أسوار بربشتر محاصراً للثائر عمر بن حفصون

---

[٢٩] بربشتر : بضم الباء الثانية وسكون الشين المعجمة وفتح التاء ، وهي مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من أعمال بربطانية ، وقد صارت للروم في صدر سنة ٢٥٤هـ ، ثم استعادها محمد بن سليمان بن هود عام ٢٧٥هـ ثم عادت ثانية للروم . ياقوت الحموي . معجم البلدان ، جـ١ / ٣٧٠ .

[٣٠] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ١٢١ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١٤ ــ ق ١ / ٣٢٢ .

[٣١] البيان المغرب ، جـ٢ / ١٠٢ ــ ١٠٦ .

، نراه يندب أخاه عبد الله بن محمد لقيادة الجيش عندما يشتد به المرض ، وسرعان ما توفى الأمير المنذر فخلفه أخوه الأمير عبد الله بن محمد في حكم الأندلس في صفر من عام ٢٧٥هـ ورجع بجثمانه ليدفن بقرطبة . (٣٢)

ب) القيام بأعباء الحكم في حالة مرض الأمير :

كان من مهام ولي العهد أو من يختاره الأمير لخلافته في إمارة الأندلس في عصر الإمارة ، القيام بكافة أعباء الحكم بتفويض من الأمير، وذلك في حالة مرض الأمير مرضاً يعجز معه عن القيام بأعباء الحكم ومتطلباته ، وقد حدث ذلك في أكثر من مرة منها :

في عام ٢٠٦هـ عندما اشتد المرض بالأمير الحكم بن هشام الربضي ، أخذ البيعة لابنه عبد الرحمن ثم لابنه المغيرة وما لبث إلا أيام مع مرضه حتى توفى نهاية ذي الحجة من نفس العام ، بعد أن أوكلت أمور الدولة وأعبائها إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم . (٣٣)

كذلك عندما اشتد المرض بالأمير المنذر بن محمد وهو محاصر لبربشتر أرسل في طلب أخيه عبد الله فأوكل إليه قيادة الجيش والقيام مكانه بأعباء الإمارة ، ثم كانت وفاة الأمير المنذر وتولّى أخيه عبد الله إمارة الأندلس . (٣٤)

جـ) التدرب على أعباء الحكم :

كان الأمير يحاول دوماً تهيئة من يجتبيه لكي يخلفه في الإمارة لمهام الحكم ، ويحاول إسناد بعض الأمور إليه أو الإشارة إلى أن هذا الشخص هو أصلح الأبناء لقيادة الأندلس .

وقد حدث ذلك من الأمير عبد الله بن محمد حيث أولى حفيده عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بعبد الرحمن الناصر اهتمامه ، فكان يحظيه دون بنيه ، ويومي إليه ويرشحه لأمره ، وربما أقعده في بعض الأيام مقعد نفسه لتسليم الجند عليه ، فتعلقت آمال الدولة به ولم يشكُّوا في

---

(٣٢) النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٣ / ٣٩٤ . د / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، ط مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية (بدون تاريخ) ، ص٢٥١ .

(٣٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٧٧ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ١٤ ـ ق١ / ٢٤٧ ـ ٢٤٨

(٣٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص١١٨ .

مصير الأمر إليه ، فلما مات جده أجلسوه مكانه في الإمارة دون ولده لصلبه .[٣٥]

وبهذا حاول الأمراء الأمويون في الأندلس تثبيت حكمهم الذي اندثر في المشرق عن طريق تأهيل من رأوه يصلح من أبنائهم لقيادة الأندلس ، أو تحديده وأخذ البيعة له بولاية العهد ، لضمان عدم منازعته في إمارة الأندلس من أي من أفراد البيت الأموي ، إلا أن انتقال الحكم من أمير إلى آخر شهد في بعض الأحيان نزاعًا ومواجهةً ، وفي أحيان أخرى شهد انتقالاً سلميًا ، يتضح ذلك أكثر في المبحث القادم .

[٣٥] ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ / ١٥٧ . رينهرت دوزى : المسلمون في الأندلس ، جـ١ ترجمة د/حسن حبشي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ، ص٢١٨ .

المبحث الثاني

أنواع تداول السلطة في الأندلس

في عصر الإمارة الأموية

الأندلس في عصر الإمارة الأموية شأنها شأن أي دولة أو خلافة أو أي تنظيم سياسي حينما تنتقل السلطة من خليفة أو أمير أو حاكم إلى من يليه ، فدائماً ما تكون هذه الفترة عنصراً فارقاً في تاريخ هذا التنظيم ، بحسب كيفية تداول السلطة ، أهو سلمي أم صراع ومواجهة ؟.

وفي عصر الإمارة الأموية شهد الأندلس نوعين من التداول : الصراع والمواجهة ، والتداول السلمي .

فبوفاة الأمير يخلو منصب أعلى سلطة في الأندلس ، وهذا ما يوجد فراغاً كبيراً في حكومة هي في الأساس تتسم بالمركزية ، فالأمير هو المسيطر الفعلي على كل مقاليد الحكم ، لذا يسارع الجميع لسد هذا الفراغ السياسي ، وهنا يظهر نوعين من تداول السلطة ، نتناولهما من خلال التعرض لفترات تداول السلطة في عصر الإمارة .

أولاً : الصراع والمواجهة :

١ ـ وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل وتولى ابنه هشام بن عبد الرحمن :

كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل يرشح لخلافته في إمارة الأندلس اثنين من أبنائه هما : هشام وسليمان ، وعندما حضرته الوفاة أوصى ابنه عبد الله المعروف بالبلنسي وقال له : " من سبق إليك من أخويك، فابرأ إليه بالخاتم والأمر ، فإن سبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه ، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الناس له " .[٣٦]

وكان هشام عند موت أبيه بمدينة ماردة ، فوافاه الخبر فأسرع إلى قرطبة ودخلها بعد ستة

---

[٣٦] لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص١١ . د / محمد ماهر حماده: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية ، ص١٣٤ ــ ١٣٥ .

أيام فبايعه الخاصة والعامة ، قبل أخيه سليمان الموجود بطليطلة .[٣٧]

وقيل إن الأمير عبد الرحمن عهد إلى هشام قبل وفاته ، وقدّمه على سليمان وهو الأكبر منه لأنه كان يتوسم فيه الشهامة ، فلذلك عهد إليه فبايع له أخوه عبد الله وكتب إليه بنعي أبيه ويعزيه به ، ويعرفه أنه قد أخذ بيعة الناس له ، فلما وصل إليه الكتاب سار من ساعته إلى قرطبة فدخلها في ستة أيام ، واستولى على الملك وخرج عبد الله إلى داره مظهراً الطاعة وفي نفسه خلاف ذلك .[٣٨]

أما سليمان فعندما اتصل به ذلك أخذ بيعة أهل طليطلة وما جاورها لنفسه وغلب عليها، ثم انضم إليه أخوه عبد الله البلنسي فقد طمحت نفسه إلى الإمارة وقد كانت في يده أولاً ، وذلك بعد سبعة أشهر من وفاة والدهما ، وكان الأمير هشام يبره ويترضاه ، ويفضله على الكثير من إخوته فلم يقنعه ذلك ، وخرج يريد أخاه سليمان بطليطلة ، فلما بلغ الأمر إلى هشام أشفق من ذلك وأخرج إليه من يرضيه ويرده ، فلم يدركه ، ومضى حتى قدم طليطلة .[٣٩]

جمع هشام جيشه وسار إلى طليطلة فحصر أخويه بها ، وكان سليمان قد حشد وجمع جمعاً كبيراً فلما حصرها هشام ، سار سليمان من طليطلة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلاد وسار هو إلى قرطبة ليملكها ، فعلم هشام به فلم يفارق الحصار ، أما سليمان فسار حتى وصل شقندة [٤٠] فدخلها ، وخرج إليه أهل قرطبة مقاتلين له ودافعوه عن المدينة ، واكتفى هشام بإرسال ابنه عبد الملك لمطاردته ، فلما اقترب عبد الملك بن هشام من قرطبة فر سليمان إلى ماردة ولكنه هزم هناك، ولما لم يجد فائدة من محاولاته أقام بتدمير [٤١] ، أما الأمير هشام فظل محاصراً لطليطلة ما يزيد على شهرين ، ثم قفل إلى قرطبة ، على أن عبد الله لم يجد فائدة من بقائه بطليطلة فاتجه إلى قرطبة بغير أمان

---

[٣٧] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٦١ .

[٣٨] النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٣ / ٣٥٢ ـ ٣٥٣ . د / أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة ، ط مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ١٩٨٣ ، ص٣٦ .

[٣٩] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٦٢ .

[٤٠] شقندة : وهي قرية بالقرب من مدينة قرطبة بها نهر يعرف باسمها . المقرى : نفح الطيب جـ١ / ٢٣٧ .

[٤١] تدمير : كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان ، وهي شرقي قرطبة ، وبها معادن كثيرة ، ومعاقل ومدن ، بينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد ، وتسير العساكر أربعة عشر يوماً . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢/١٩ .

فأكرمه الأمير هشام وأحسن إليه .[٤٢]

وفي سنة ١٧٤هـ بعث هشام ابنه معاوية لحصار أخيه سليمان بتدمير فدوخ نواحيها وهرب سليمان إلى جبال بلنسية فاعتصم بها ، ورجع معاوية إلى أبيه بقرطبة ، ثم طلب سليمان العبور إلى عدوة البربر (بلاد المغرب) بأهله وولده فأجازه هشام وأعطاه ستين ألف دينار صلحاً على تركة أبيه ثم تبعه بأخيه عبد الله بعد أن عوضه مالاً جزيلاً .[٤٣]

وبذلك انتهت ولو لفترة فتنة سليمان وعبد الله ابنى الأمير عبد الرحمن الداخل وصراعهما مع أخيهما الأمير هشام بن عبد الرحمن بعد أن استمرت قرابة سنتين ، حتى استنزفت جيوش الأندلس ومواردها في تداول للسلطة كان من الممكن أن يكون تداولاً سليماً ، إلا أن الأميرين أصرا على أن يكون صراع ومواجهة .

٢ ـ وفاة الأمير هشام بن عبد الرحمن وتولى ابنه الحكم بن هشام:

لم يهدأ سليمان وأخوه عبد الله في المقر الجديد بالمغرب ، فكان سليمان يقيم في طنجة ، على حين يقيم عبد الله في المغرب الأوسط ، وكل من الأخوين يترقب الفرصة المواتية للعودة إلى الأندلس ، والمطالبة بالحكم ، وانتهز الأخوان فرصة وفاة أخيهما هشام وعبرا إلى الأندلس.[٤٤]

وكان الحكم قد ولى بعد أبيه هشام بعهد منه في صفر من عام ١٨٠هـ وهو ابن ست وعشرين سنة [٤٥] وقيل اثنتين وعشرين سنة [٤٦]، وهنا وجد الأخوان سليمان وعبد الله الفرصة مواتية لانتزاع حكم الأندلس من ابن أخيهما الحكم بن هشام .

---

[٤٢] النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٣ ، ٢٥٣ . د./ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص٢١٥ .

[٤٣] ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٤ . تقديم د / عبادة كحيلة ، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧م ، ص١٢٤ .

[٤٤] د / عصام الدين عبد الرءوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس ، ط مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٤م ، ص٨١ .

[٤٥] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٦٨ .

[٤٦] المراكشي : عبد الواحد بن علي بن تميم (ت في القرن السابع الهجري) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق د / محمد زينهم محمد عزب ، ط دار الفرجاني ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص٣٠ .

بدأ الحكم إمارته بتوجيه الجيش غازياً إلى الشمال النصراني ، ولكن سرعان ما اضطر إلى ترك الجهاد والغزو ليعنى بمقاومة بوادر الخروج والثورة التي بدأت تتفتح حوله من كل صوب ، وبالأخص من خلال عميه سليمان وعبد الله ، ذلك أن الحكم ما كاد يجلس على عرش أبيه حتى عول عماه على التحرك مرة أخرى .[٤٧]

فأما سليمان ففي عام اثنين وثمانين ومائة تحرك لحرب ابن أخيه الأمير الحَكَمْ ، فصار إليه الحكم في جيوش كثيرة فالتقيا واقتتلا ، واشتدت الحرب فانهزم سليمان وأتبعه عسكر الحكم ، وعادت الحرب بينهما ثانية-في ذي الحجة من نفس العام، فانهزم سليمان واعتصم بالأوعار والجبال ، فعاد الحكم ، ثم عاد سليمان وجمع بربراً وأقبل إلى جانب استجه [٤٨] ، فسار إليه الحكم فالتقوا واقتتلوا في سنة ثلاث وثمانين واشتد القتال فانهزم سليمان وقصد جهة ماردة ، فتبعه طائفة من عسكر الحكم فأسروه ، وأحضروه إلى الحكم فقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة ، وكتب إلى أولاد سليمان وهم بسرقسطة كتاب أمان واستدعاهم فحضروا عنده بقرطبة .[٤٩]

وأما عمه عبد الله فقد سار في عام ١٨١هـ إلى الثغر الأعلى يؤلب البلاد ، ويحشد الأنصار لمقاتلة الحكم ، ثم عبر جبال البرنية إلى بلاد الفرنج لمقابلة ملكهم شارلمان [٥٠] ملك الفرنج (فرنسا) في مدينة إيكسلا شابيل حيث كان يعقد بلاطه يومئذ ، والتمس إليه العون المؤازرة ، فأكرم ملك الفرنج يومئذ وفادته ، واستجاب إلى دعوته ، وألفى الفرصة سانحة للتدخل في شئون

---

[٤٧] عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ــ ق١ / ٢٣١ .

[٤٨] استجة : من كور (مدن) الأندلس بين الغرب والقبلة (الجنوب) من قرطبة، وهي مدينة قديمة أولية ، كريمة الأرض ، منفسحة البطحاء ، ابتنيت على نهر سنجل الذي يصب في نهر قرطبة . ابن الشباط : وصف الأندلس وصقلية ، ص١٤٠ ــ ١٤١ .

[٤٩] النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٣ / ٣٦٢ ، د / السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، ط مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية ١٩٩٨م ، ص٣٥٣ ــ ٣٥٤ .

[٥٠] شارلمان : أو شارل الأول الكبير (٧٤٢ ــ ٨١٤م) ملك الفرنج وإمبراطور الغرب ، مؤسس السلالة الكارولية ، جعل إيكسلا شابيل (آخن) عاصمة له حاول الاستيلاء على الأندلس ففشل في سرقسطة عام ٧٧٨م . لويس شيخو السيوعي : المنجد ــ القسم الثاني الأعلام ، ط دار الشروق ــ بيروت ، الطبعة ٢٧ (بدون تاريخ) ، ص٣٨١ .

الأندلس ، وتحقيق مطامعه القديمة، وسير شارلمان جيشاً مع ولده لويس أمير منطقة أكوتين ، فعبر جبال البرنيه واستولى على مدينة جيرونة ، ثم توغل في ولاية الثغر الأعلى ، بمالأة بعض الزعماء الخوارج ، ويبدو أن الفرنج لم يجدوا الحوادث ممهدة في ذلك الجزء المضطرب من الأندلس بعد مواجهات شديدة مع والي سرقسطة [٥١] من قبل الأمير الحكم ، فقرروا العودة والانسحاب مرة أخرى إلى الشمال . [٥٢]

وعلى الرغم من عودة الفرنج إلا أن محاولة عبد الله وسليمان في الثغر الأعلى كشفت لرجال شارلمان ضعف الجبهة الإسلامية من هذه الناحية، وحفزه أهل شمال شبه الجزيرة من النصارى على القيام بحملة أكثر جدية ، وبالفعل سارت قوات فرنجية في سنة ١٩٠هـ نحو الأندلس. [٥٣]

أما عبد الله فبعد أن فشل مع الفرنج في الثغر الأعلى ، عاد فانضم إلى أخيه سليمان ، وبعد مقتل سليمان فر إلى بلنسية واستمر بها فترة من الزمن حتى عام ١٨٦هـ وفيها أرسل الحكم إلى عمه عبد الله كتاب أمان ، ويبدو أن مقتل سليمان عظم عليه وقت في عضده ، وخاف على نفسه ، حتى أنه لزم بلنسية ولم يتحرك لإثارة فتنة ، وفي عام ١٨٧هـ كان انعقاد الأمان على يد الفقيه يحيى بن يحيى ، واتفق على إجراء الأرزاق على عبد الله ألف دينار كل شهر ومخصصات أخرى ، وقدم الفقيه على الحكم بولد عبد الله فأكرمه وزوجه أخته شقيقته . [٥٤]

---

[٥١] سرقسطة : تقع في ثغر شرق الأندلس ، وهي المدينة البيضاء ، أعظم مدائن ثغر الأندلس ، سورها كله مبني بالرخام معقود في داخله الرصاص ، فهي غزيرة الخيرات ، كثيرة البركات ، فواكهها وأطعمتها من الكثرة والجودة بحيث قد شاع في جميع الأقطار ، ويتبعها مدن كثيرة منها قلعة أيوب . ابن الشباط : وصف الأندلس وصقلية ، ص١٥٠ . ابن غالب : محمد بن غالب الأندلسي (عاش في القرن السادس الهجري) : فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق د/لطفي عبد البديع ، ط مطبعة مصر ١٩٥٦م ، ص١٩ .

[٥٢] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٦٩ ـ ٧٠ . د / عبادة كحيلة : المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص١٩١. عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ـ ق١ / ٢٣٠ ـ ٢٣١ . د / سامية مصطفى مسعد : التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس ، ط عين للدراسات والبحوث ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ص٥٩ ـ ٦٠ .

[٥٣] د / حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م ، ص٣١٤ ـ ٣١٥ .

[٥٤] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٧٠ ـ ٧١ . النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٣ / ٣٦٣ .

٣ ـ وفاة الأمير الحكم وتولى ابنه عبد الرحمن بن الحكم :

في عام ٢٠٦هـ توفى الأمير الحكم بن هشام وخلفه في حكم الأندلس ابنه عبد الرحمن بن الحكم بعهد منه وبيعة من أهل الأندلس ، أخذت له في عهد والده ، حتى أنه قام ببعض أمور الحكم وأعبائه في فترة مرض الأمير الحكم ، مما جعل من اعتلائه كرسي الحكم وإمساكه بزمام الأمور أمراً سهلاً له .

ولم يعكر انتقال السلطة في هذه الفترة سوى خروج عم أبيه عبد الله البلنسي عليه ، كما خرج من قبل على والده وجده ، حيث طمع في موت الحكم ، واحتل تدمير عام ٢٠٧هـ ، وقد التف حوله جمع كثير من الأنصار والأعوان ، وكان يزمع الزحف إلى قرطبة بالرغم من ضعفه وشيخوخته .[٥٥]

يذكر ابن الأبار في ترجمته لعبد الله البلنسى [٥٦] : " فآب إليه خلق كثير ، عسكروا معه بباب تدمير ، وكان توافيهم إليه في يوم خميس أرادوا الخروج فيه نحو قرطبة ، فأتاهم وقال : " بل نصلي على بركة الله غداً صلاة الجمعة ، ونفصل يوم السبت بعده " ، فتولى الخطبة بالناس يوم الجمعة ، فأبلغ في تذكيرهم وتحريضهم ، وكان خطيباً مصقعاً . فلما شارف مقطع خطبته قال : " معاشر الناس!رحمكم الله، أمنوا على ما أدعو الله به ، وأسألوه ما أنا سائله من الخيرة فيما أؤمله " ، ورفع بيده نحو السماء فقال : " اللهم إن كنت أحق بالأمر الذي قمت فيه من عبد الرحمن بن هشام ـ حفيد أخي ـ فانصرني عليه ، وافتح لي فيه ، وإن كان هو أحق مني ـ وأنا صنو جده ـ فانصره على " ، فأمن الناس جميعاً عالية أصواتهم . فلم يكد يستوعب كلامه ، حتى ضربته الريح الباردة فسقط إلى الأرض مفلوجاً،واحتمل إلى مكان مضطربه،فأكمل الناس الصلاة بغيره " .

وكان الأمير عبد الرحمن قد سمع بتحركات عم أبيه عبد الله البلنسي وبدأ في الزحف بجيشه لمواجهة رفض البلنسي البيعة ، واحتلاله لتدمير ، إلا أنه وصله كتاب من عبد الله البلنسي يذكر فيه : خبر علته ويأسه من نفسه ، وعهد إليه بالنظر لأهله وولده ، فأنفذ عهده ولم يعرض له إلى أن مات سنة ثمان ومائتين ، واحتل عبد الرحمن تدمير ، وتكفل بأهله وولده ، وانتهت بذلك

---

[٥٥] ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٦ / ١٢٧ . د / عصام الدين عبد الرءوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص٩٦ .

[٥٦] الحلة السيراء ، جـ٢ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

آخر مرحلة من فتنة طالما تكرر حدوثها منذ وفاة الأمير الأول عبد الرحمن الداخل .[٥٧]

وقد كان عبيد الله بن عبد الله البلنسي قد لحق بالأمير الحكم بن هشام ، وكان من ذوى مشورته وكبار قواده وثبت " يوم الهيج "[٥٨] ، ثم قاد الصوائف لعبد الرحمن بن الحكم ، فكان يعرف بـ" صاحب الصوائف" ؛ وهذا ما نراه في قيادته لجيش الأمير عبد الرحمن في أحداث سنة ٢٢٤هـ ، فكان أحد رجالات بني أمية في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم .[٥٩]

ثانياً : التداول السلمي للسلطة :

بوفاة عبد الله البلنسي ، واحتواء الأمير عبد الرحمن بن الحكم لمن تبقى من أبنائه ، بدأ تداول السلطة في الأندلس يعرف طريقاً أكثر سهولة ويسرًا ، وأصبح انتقال السلطة من الأمير إلى ولي عهده يحدث وفق نظام معتاد معترف به من الجميع في الأندلس ، حتى من أبناء الأسرة الحاكمة ـ بني أمية ـ ، إلا أن انتقال الحكم من الأمير عبد الرحمن إلى ابنه الأمير محمد كان هو النقطة المؤثرة في ظهور هذا النوع من تداول السلطة السلمي .

١ ـ وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم وتولى ابنه محمد بن عبد الرحمن :

محمد هو أكبر أبناء الأمير عبد الرحمن وولى عهده ، حاولت من قبل طروب حظية والده وأم أخيه عبد الله بمساعدة الفتى نصر الخصي حاجب الأمير ، أن يجعلا ولاية العهد لأخيه الأصغر

---

[٥٧] ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ ، جـ٥ ، مراجعة وتصحيح د / محمد يوسف الدقاق ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٤٦٦ . ابن الأبّار : الحلة السيراء، جـ٢/٣٦٤ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ـ ق١ ، ص٢٥٥ .

[٥٨] يوم الهيج : وهو تلك الثورة الشعبية التي حدثت في ناحية الربض المواجهة لقصور بني أمية في قرطبة ، وذلك في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي ، فأوقع بأهل هذه المنطقة ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهجَّر باقيهم فنسب إليها وأمر بهدمها وتعطيل الحياة فيها حتى وفاته ، واتبعه في ذلك أبناؤه ، وكانت هذه الواقعة يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة ٢٠٢هـ . ابن الأبار: الحلة السيراء ، جـ١ / ٤٤ ، د / أحمد إبراهيم الشعراوي : هياج الربض ثورة شعبية على الحكم الأموي للأندلس ، ص٣٧ ـ ٥٩ .

[٥٩] ابن الأبّار : الحلة السيراء ، جـ٢ / ٣٦٤ . المقرى : نفح الطيب ، جـ١/٣٤٥ . د / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص٢٤٠ .

عبد الله ابن الجارية طروب إلا أن محاولتهم فشلت ، وقتل فيها الفتى نصر حاجب الأمير عام ٢٣٦هـ .[٦٠]

وعندما توفى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ـ رحمه الله ـ وكان موته بغتة ، واطلع على ذلك أكابر الفتيان ، ستروا الأمر إلى أن أغلقت أبواب القصر ، وأذن بالعتمة ، ثم أمروا بجميع الفتيان ، صغيرهم وكبيرهم وبدأوا في التشاور فيما بينهم في هذا الحدث ، حيث مال معظمهم إلى تحويل الإمارة إلى عبد الله بن الأمير من طروب ، صاحبة الأيدي عليهم ، والمحسنة إليهم .[٦١]

إلا أن الأمر الفارق هنا كان في عقلانية كبار فتيان القصر ، وفي حوار دار بينهم ، أورد نصه ابن القوطية [٦٢] وفيه بعد أن أعلن أكثر الفتيان تقديم عبد الله ، يذكر أحد كبار الفتيان ويكنى بأبي المفرج ـ وكان مقدماً بينهم ـ فيقول : " على هذه رأي جميعكم ؟ قالوا : نعم ، قال لهم : وأنا أعلمكم أن رأيي كرأيكم ، وأني أشكر للسيدة لفضلها على دونكم ، ولكنه أمر إن ينفذ فهو سبب لقطع آثارنا من الأندلس ، وأن واحداً منا لا يخطر في طريق ، ولا يمر بجماعة إلا قال الناس : اللهم العن هذه الوجوه ، فإنهم ملكوا أمر المسلمين فولوا شر من يعرفونه ، وتركوا خير من يعرفونه ، وقد علمتم عبد الله وحاله ، ومن يطوف به ، والله لئن ملك شيئاً من أمور المسلمين ليحدثن فيكم وفيهم الأحداث ، فيسألكم الله عنهم وعن أنفسكم ، فكأن ذلك وقر بأنفسهم ، فقالوا له : تراه من ؟ فقال لهم الصالح العفيف محمد ، فقالوا له : هو بهذه الصفة إلا أنه لئيم شديد، فقال لهم : وبماذا يجود الخصيان ؟ إذا ولى وملك بيوت الأموال سيجود إن شاء الله ، فقالوا له : رأينا ما رأيت " .

ثم خرج أحد فتيان القصر ويدعي سعدون فأخبر ـ سراً ـ الأمير محمدًا بوفاة والده واستدعاه إلى القصر ، فدخله متخفياً ، مخاطراً بنفسه بالمرور على دار وأعوان أخيه عبد الله ، فأخذت له البيعة في هذه الليلة ، وبعث في الوزراء والخدم والمقدمين من أهل البلاد فبايعوا ، ثم أقرّ الأمير محمد كلاً منهم في موضعه بعد أن تمت له البيعة بإمارة الأندلس.[٦٣]

---

[٦٠] ابن حيان : المقتبس ، ص١٤٩ ـ ١٥١ .

[٦١] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩١ .

[٦٢] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩٢ .

[٦٣] نفس المصدر ، ص٩٣ ـ ٩٥ .

وانتهت بذلك فتنة قبل وقوعها في حال إبرام البيعة لغير ولي العهد ، ورحمت الأندلس من مشاهدة صراع جديد على السلطة ربما استطالت أحداثه كسابقيه ، فكانت هذه البيعة بداية لتداول سلمي للسلطة في عصر الإمارة الأموية في الأندلس .

٢ ـ وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن وتولى ابنه المنذر بن محمد :

لليلة بقيت من صفر عام ٢٧٣هـ كانت وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن ، فجاء الخبر إلى ابنه المنذر بن محمد وهو على رأس جيش والده المحاصر للثائر عمر بن حفصون ، بعد أن استطاع تضييق الخناق عليه ولم يبق الكثير على إنهاء فتنته ، مما جعل المنذر يقفل راجعاً إلى قرطبة تاركاً حصار ابن حفصون .[٦٤]

" وكان المنذر منذ فتوته أثيراً عند أبيه بين أبنائه الثلاثة والثلاثين، مستأثراً بثقته وولاية عهده ، يختاره لجلائل الأمور ، ويندبه لقيادة الجيش كلما جد الخطب " .[٦٥]

دخل المنذر قرطبة قبل أن يوارى جسد والده في التراب ، فصلى عليه وحضر دفنه ثم أخذت له البيعة باتفاق في الثامن من ربيع الأول سنة ٢٧٣هـ ، وهو ابن أربع وأربعين سنة .[٦٦]

ومن خلال قراءة أحداث فترة وفاة الأمير محمد وتولية ابنه الأمير المنذر ، يتضح أن الأمور كانت ممهدة لانتقال سلمي للسلطة ، فالمنذر هو ولي العهد ، قائد الجيش ، الممسك بزمام الأمور ، ولم يكن له من داخل البيت الأموي معارض ، فهو الابن المقدم على سائر أبناء الأمير محمد منذ حياة والده ، مما جعل رجوعه وأخذه البيعة لنفسه أمراً يتم في هدوء.

٣ ـ وفاة الأمير المنذر بن محمد وتولى أخيه عبد الله بن محمد:

الأمير المنذر بن محمد الذي خلف والده الأمير محمد بن عبد الرحمن لم تدم إمارته للأندلس سوى أقل من سنتين ، كان فيهما وافر العزم والحزم ، ذا شجاعة وبأس ، وكان خلال فتنة الثائر

---

[٦٤] مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٢٤ . لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام، ص٢٣ . د / عبد المجيد النعنعي : تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، ص٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

[٦٥] عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ــ ق١ / ٣١٧ .

[٦٦] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ١١٣ .

عمر بن حفصون التي ثار ضرامها أيام أبيه ، معقد آمال الحكومة والجيش ، وكان زعماء الفتنة يهابونه ويخشون جانبه ، لما عرف من جدته وصرامته .[٦٧]

حتى كان بداية عام ٢٧٥هـ وحصاره للثائر عمر بن حفصون في مدينة بربشتر مدة من ثلاثة وأربعين يوماً ، وفيها أصابته علة ، فبعث في أخيه عبد الله لينوب منابه ، فلما وصل خرجت روحه ، فأخذت البيعة من الحضور للأمير عبد الله بن محمد تحت أسوار المدينة المحاصرة ، في النصف من صفر عام ٢٧٥هـ ، ثم قفل إلى قرطبة بأخيه المنذر ميتاً ، فاستتم البيعة بقرطبة ، ودفن أخاه بعدها .[٦٨]

إلا أن الإمام ابن حزم يذكر[٦٩] : أن الأمير عبد الله بن محمد كانت له يد في وفاة أخيه الأمير المنذر ، حيث أوعز إلى حجّام الأمير بوضع السم له أثناء إجراء الحجامة ، فكانت وفاته إثر ذلك .

وينقل عنه هذه الرواية ابن عذارى في البيان المغرب[٧٠] ، ولسان الدين بن الخطيب في أعمال الأعلام[٧١] ، كذلك يسبقه في ذكرها ابن القوطية في تاريخ افتتاح الأندلس[٧٢] ، ذاكراً أن ميسوراً فتاه سم له القطن المجعول في الجرح ، فكانت وفاته ، دون الإشارة إلى يد لأخيه عبد الله في ذلك .

كما يؤكد رينهرت دوزى هذه الرواية فيذكر[٧٣] : " كان أخوه عبد الله في مثل عمره تماماً ، وكان يتطلع للعرش إلا أنه كان يفتقد الأمل في اعتلائه لومات المنذر تاركاً وراءه أبناء

---

(٦٧) النويري : نهاية الأرب جـ٢٣ / ٣٩٣ ــ ٣٩٤ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ــ ق١ / ٣٢١ .

(٦٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ١١٨ ــ ١٢١ . د / عبادة كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص٢٢٨

(٦٩) ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) : نقطة العروس في تاريخ الخلفاء ، جـ٢ ، تحقيق د/ إحسان عباس ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م ، ص٢١ .

(٧٠) جـ٢ / ١٥٦ .

(٧١) ص٢٦ .

(٧٢) ص١١٤ .

(٧٣) المسلمون في الأندلس ، جـ١ / ١٤٧ .

تؤهلهم أعمارهم لذلك الاعتلاء ، ومن ثم رشى عبد الله جراح المنذر الذي فصد مولاه بمبضع مسموم فلما كان يوم ٢ يونيو ٨٨٨م (١٥ صفر ٢٧٥هـ) لفظ المنذر نفسه الأخير بعد حكم استمر عامين " .

وعلى كلا الروايتين فحاصل القول ؛ أن هناك تداولاً للسلطة حدث في منتصف صفر من عام ٢٧٥هـ تحت أسوار المدينة المحاصرة بربشتر ، وأتم في قرطبة بعد عودة الأمير عبد الله حاملاً جسد أخيه المنذر، وقد تم انتقال السلطة بطريقة سليمة طبقاً لظاهر الأمور ، أو بصراع لم يظهر للعامة طبقاً للرواية الثانية .

٤ ـ وفاة الأمير عبد الله بن محمد وتولى حفيده عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر) :

شهد مستهل ربيع الأول من عام ٣٠٠هـ وفاة الأمير عبد الله بن محمد بعد خمس وعشرين سنة قضاها في حكم الأندلس ، ليشهد الأندلس تداولاً أخيراً للسلطة في عصر الإمارة .

وفي هذه المرة ينتقل الحكم ليس لأحد أبناء الأمير أو حتى إخوته كما شهدنا في المرات السابقة ، وإنما لحفيد الأمير وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر ، وكان السبب في ذلك ما حدث من مقتل محمد بن الأمير عبد الله ، والد عبد الرحمن الناصر ، على يد أخيه المطرف بن عبد الله ، بعد أن أمر الأمير عبد الله بحبسه في أحد أجنحة القصر لوشايات تتهمه بالتعاون مع الثائر عمر بن حفصون ، وعندما ظهرت براءته وأمر والده بإطلاق سراحه عاجله أخوه المطرف بالقتل في محبسه ، وما هي إلا سنوات حتى كان مقتل المطرف نفسه على يد والده الأمير عبد الله . (٧٤)

ترك هذا الحادث في نفس الأمير حزناً شديداً فوجد سلواه في حفيده عبد الرحمن ابن ولده المقتول محمد ، والذي ولد قبل وفاة والده بأسابيع قليلة ، فانكب عليه برعايته وحمايته ، وساعده على ذلك نجابة حفيده ، وما بدا منه منذ الصغر من تعلق آمال الناس به ، يذكر ابن عذارى (٧٥) : "

---

(٧٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٤ / ١٣٦ ـ ١٣٧ . محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٠م ، ص١٦٧ ، دولة الإسلام في الأندلس ، ع١ ـ ق١ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

(٧٥) البيان المغرب ، جـ٢ / ١٥٧ .

وكان جده الأمير عبد الله يحظيه دون بنيه ، ويومي إليه ، ويرشحه لأمره ، وربما أقعده في بعض الأعياد مقعد نفسه لتسليم الجند عليه ، فتعلقت آمال أهل الدولة به ، ولم يشكوا في مصير الأمر إليه ، فلما مات جده ، أجلسوه مكانه في الخلافة دون ولده لصلبه ... وكان يسكن القصر مع جده دونهم ، فتهيأ إجلاسه دونهم مكانه بغير منازعة ، وقيل إن جده رمى بخاتمه إليه إبانة منه لاستخلافه،فكان أول من بايعه أعمامه أولاد الإمام عبد الله ... وتلاهم إخوة جده ".

فكان انتقال الحكم في هذه المرة ليس تداولاً سليماً فحسب وإنما كان أمراً مسلماً به ، فلم يجد عبد الرحمن ــ رغم حداثة سنه ووجود الأولى منه بالإمارة ــ أقول لم يجد من ينازعه فيها، بل وجد أصحاب الحق فيها أول من يبايع ويناصر ، كما وجد أهل الأندلس على أتم استعداد، وفي حالة ترقب وانتظار ، فكانت بيعته يوم وفاة جده .

وقد استطاع الأمير عبد الرحمن الناصر أن يبرهن على أن نظرة جده والناس له لم تكن خاطئة ، فقضى على فتنة الثائر ابن حفصون ، وأسكن ثورات الأندلس ، ومدت له أمم النصارى يد الإذعان ، ودانت له البلاد بالولاء والطاعة ، حتى أتم ذلك في يوم الجمعة مستهل ذي الحجة من عام ٣١٦هـ ، بإعلان الخلافة الأموية في الأندلس ، بعد ما رأى من ضعف ألمّ بالخلافة العباسية في المشرق ، وتسلط الأتراك عليها ، وما ادعته الشيعة العبيدية (الفاطمية) في المغرب ، فكان أول من تلقب بالخلافة من بني أمية في الأندلس ، لينتهي عند هذا اليوم عصر الإمارة الأموية في الأندلس ، وليبدأ مع عبد الرحمن الناصر عصر الخلافة .[٧٦]

[٧٦] ابن الأبّار : الحلة السيراء ، جـ١ / ١٩٨ . المقرى : نفح الطيب ، جـ١ / ٣٥٣ ــ ٣٥٤ . د / عبادة كحيلة : القطوف الدواني في التاريخ الإسباني ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٩٣ ــ ٩٤ .

المبحث الثالث

مراسم تداول السلطة في الأندلس

في عصر الإمارة الأموية

في فترات تداول السلطة في الأندلس في عصر الإمارة الأموية ، كانت هناك مراسم متبعة لانتقال حكم الأندلس من أمير إلى الذي يليه ، اتبعت هذه المراسم بتقديم أو تأخير حسب ظروف كل فترة ، من مكان وفاة الأمير ، ومكان تواجد الأمير الجديد ، وأحوال الأندلس في هذه الفترة ، ومع ذلك كانت هناك أمور متبعة لابد من المرور بها في كل مرة يحدث فيها تداولاً للسلطة :

أولاً : الإعلان عن وفاة الأمير ومبايعة الأمير الجديد :

عند وفاة الأمير كانت المراسم تبدأ أولاً بإعلان وفاة الأمير ومبايعة ولي العهد ، وذلك لشغل هذا الفراغ السياسي الذي حدث في الأندلس ، على اعتبار أن أميرها الأموي هو رأس السلطة المركزية في قرطبة ، فهو الحاكم ، والمدبر لشئون الأندلس كافة ، وكل من فيها من أهل الحكم يأتمرون بأمره .

لذا كانت الأنظار تتجه منذ البداية إلى ولي عهده لكي تتم البيعة له أولاً ، بل نراهم في معظم الأحيان يبدأون ببيعة ولي العهد بالإمارة قبل دفن الأمير المتوفى ؛ إلا إذا كان ولي العهد بعيداً عن العاصمة قرطبة بعداً يتعذر معه حضوره دفن الأمير .

فعند وفاة الأمير الأول عبد الرحمن الداخل لم يكن ابناه هشام وسليمان المرشحان للإمارة موجودين بقرطبة ، فاستكملت مراسم الدفن، وكان هشام أسرعهما دخولاً لقرطبة ، فخرج إليه أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي وسلم عليه بإمارة الأندلس ودفع إليه الخاتم ، كما أوصاه أبوه ، وأدخله القصر .[٧٧]

كذلك عند وفاة الأمير الحكم بن هشام أرسل ابنه وولي عهده عبد الرحمن بن الحكم إلى إخوته وأهله ووزرائه ، فبايعوه وبايعته العامة ، ثم صلى ــ بعد ذلك ــ على أبيه الحكم وواراه

[٧٧] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ٦٢ .

الثرى .[٧٨]

وعند وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، يأتي سعدون أحد كبار فتيان القصر إلى ابنه وولي عهده محمد ليعلمه الخبر ، فيدخل محمد إلى قصر الحكم متخفياً ، خوفاً من أخيه عبد الله ـــ كما ذكرنا ـــ ثم يرسل إلى الوزراء والخدم والقرشيين (وهم وجهاء قرطبة في ذلك الحين) والموالي ، فيأخذ بيعتهم .[٧٩]

وحتى عندما يتوفى الأمير خارج قرطبة ، كما حدث مع الأمير المنذر بن محمد أثناء حصاره للثائر عمر بن حفصون في بربشتر ، فقد قام أخوه عبد الله وأخذ البيعة لنفسه من الحضور، يذكر ابن عذارى[٨٠] : "ثم قفل إلى قرطبة بأخيه المنذر ميتاً ، فاستتم البيعة بقرطبة ، ودفن أخاه بعدها" .

فقد كان ملء الفراغ السياسي الذي ظهر بوفاة الأمير ضرورة ملحة ، يتم البدء بها وءداً للفتن وحفاظاً على استقرار الأندلس ، فتكون البيعة الخاصة أولاً من أهل البيت الأموي والمقدمين في الدولة من الوزراء والوجهاء ، ثم البيعة العامة ، يتبعهما في نفس اليوم الصلاة على الأمير المتوفى ودفنه ، وربما جلس الأمير لأيام بعدها بالمسجد الجامع بقرطبة ليأخذ مبايعة الوفود من سائر الأندلس .

ثانياً : الصلاة على الأمير المتوفى ودفنه :

بعد الانتهاء من بيعة الأمير الجديد ، يشرع الجميع في دفن الأمير المتوفى ، وغالباً ما يؤم الأمير الجديد الناس لصلاة الجنازة ـــ إذا كان حاضراً بقرطبة ـــ ثم يواري الأمير المتوفى الثري في تربة الخلفاء الموجودة بقصر قرطبة ، والتي كانت مخصصة لدفن أمراء البيت الأموي .

ومن ذلك ما يذكره مؤرخ الأندلس ابن حيان [٨١] : " سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وفيها توفى الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ليلة الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر من هذه السنة ، فدفن يوم الخميس في تربة الخلفاء بقرطبة . وأولاه في قبره أخواه المغيرة ، وأمية ، وصلى عليه ابنه الخليفة محمد بن عبد

---

[٧٨] ابن عذارى : البيان المغرب ، ص٩٠ .

[٧٩] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩٣ ـــ ٩٥ .

[٨٠] البيان المغرب ، جـ٢ / ١٢١ .

[٨١] المقتبس ، ص١٥٨ .

الرحمن " .

كذلك عندما توفى الأمير عبد الله بن محمد وخلفه حفيده وولي عهده الأمير عبد الرحمن بن محمد الناصر يذكر ابن عذارى [٨٢] : " وفي سنة ٣٠٠هـ كانت وفاة الإمام عبد الله بن محمد ـ رحمه الله ـ ليلة الخميس مستهل ربيع الأول ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة ، وخمسة عشر يوماً . ودفن في قصر قرطبة مع أجداده الخلفاء ـ رضي الله عنه وعنهم ! ـ وصلى عليه أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ـ ـ ـ " .

وهكذا ما كان يحدث مع أمراء الأندلس من البيت الأموي ، يتم البدء بالبيعة ـ في الأغلب ـ ثم يدفن الأمير المتوفى في تربة الخلفاء بالقصر الأموي بقرطبة ، بعد أن يصلى عليه ولي العهد الذي أصبح أميراً للأندلس ، بعد مبايعة من الخاصة والعامة .

ثالثاً : بدء الأمير في القيام بمهام الإمارة :

بعد أخذ البيعة والانتهاء من دفن الأمير المتوفى ، يبدأ أمير الأندلس الجديد في القيام بمهام منصبه ، وتحديد المنهج الذي سينتهجه في قيادة البلاد ، ولكن تختلف البداية من أمير لآخر ، إلا أنهم جميعاً يسعون لأن تحمل بداياتهم شيئاً من اليمن والخير للناس .

ومنه ما فعله الأمير المنذر بن محمد أثناء حربه مع ابن حفصون ، وبعد أن علم بموت أبيه " قفل إلى قرطبة ، وتمت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله ، ففرق العطاء في الجند ، وتحبب إلى أهل قرطبة والرعايا بأن أسقط عنهم عشر العام وما يلزم من جميع المغرم " . [٨٣]

وربما سبق هذا العطاء بخطبة يرثى فيها الأمير المتوفى ـ والده في معظم الأحيان ـ ويحدد منهجه في الحكم ، كما فعل الأمير عبد الرحمن بن الحكم بعد الانتهاء من دفن أبيه ، يذكر ابن عذارى [٨٤] : " فلما قضى صلاته وواراه ، جلس بالأرض متطأطئاً ، ليس تحته وطاء ، وجلس من كان معه ، ثم افتتح القول ؛ فقال : " الحمد لله ، الذي جعل الموت حتماً من قضائه ، وعزماً من أمره ، وأجرى الأمور على مشيئته ، فاستأثر بالملكوت والبقاء ، وأذل خلقه بالفناء ، تبارك اسمه وتعالى جده ! وصلى الله على محمد نبيه ورسوله ، وسلم تسليماً ! وكان مصابنا بالإمام ـ رحمه الله

---

[٨٢] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ١١٤ .

[٨٣] ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ / ١١٤ .

[٨٤] ابن عذارى : البيان المغرب ، ص٩٠ ـ ٩١ .

! ـــ مما جلت به المصيبة ، وعظمت به الرزية ؛ فعند الله نحتسبه، وإياه نسأل إلهام الصبر ، وإليه نرغب في كمال الأجر والذخر ! وعهد إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم ولسنا ممن يخلف عهده ، بل لكم لدينا المزيد إن شاء الله !"ثم قام عنهم،وخرجت لهم الأموال والكسى على قدر أقدارهم" .

فهذه بدايات يحاول الأمراء البدء بها للتبشير ، ولكسب ثقة العامة والخاصة ، إلا أن الإجراء الأَوْلَى بالاتخاذ دائماً كان هو تحديد أفراد حكومة قرطبة ، التي ستقوم على معاونة الأمير في إدارة أمور الأندلس ، سواء أكان هناك تغيير أم إقرار للحكومة السابقة .

يذكر ابن القوطية [٨٥] عن بيعة الأمير محمد بن عبد الرحمن : "فدخل وتمت بيعته تلك الليلة ، وبعث في الوزراء والخدم والقرشيين والموالي ، واستوزر في ذلك الصباح محمد بن موسى وكيله هذا ، وعبد الرؤوف بن السلم ، جد بني عبد الرؤوف ... وأمضى الأمير محمد رجال أبيه على الوزارة ، وعلى الكتابة " .

هذه نماذج من المراسم المتبعة في هذه الفترات الحاسمة ، حيث تنتقل السلطة من أمير إلى الذي يليه ، وذلك طبقاً لمراسم متفق عليها تمضي تباعاً ، حتى نصل إلى عهد أمير جديد ، يبدأ في ممارسة مهام منصبه، ثم يمضي في قيادة الأندلس ، حتى كانت نهاية عصر الإمارة الأموية في الأندلس، بإعلان الأمير عبد الرحمن الناصر نفسه أميراً للمؤمنين ، وتلقبه بالخلافة ، وإعلان قيام الخلافة الأموية في الأندلس .

[٨٥] تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩٥ .

الخاتمة

﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ سورة الأعراف من الآية (٤٣) .

وبعد ... فهذه الصفحات السابقة صور من فترة مهمة عاشتها الأندلس في عصر الإمارة الأموية شهدت هذه الفترة تداولاً للسلطة بين أمراء بني أمية في سبع مرات ، شكلت الجزء الأهم من التاريخ السياسي لهذه الأسرة الحاكمة في الأندلس ، كانت تحتاج ـــ منفردة ـــ لإلقاء مزيد من الضوء ، وهذا ما حاولت الصفحات السابقة تطبيقه لتخرج منها بالنتائج التالية :

١. انتقل بنو أمية من المشرق إلى الأندلس بنفس الأفكار السابقة ونفس المنهج في القيادة والحكم ، ومن ذلك ولاية العهد ، وإن لم ينص عليها صراحة في البداية وتؤخذ البيعة علناً ، إلا أنهم غرسوها كمبدأ وقاعدة أساس من قواعد حكمهم للأندلس ، لتكون إمرة الأندلس حكراً عليهم ، بل على أحد أبناء الأمير وهكذا .

٢. كان اختيار ولي العهد اختصاصاً أصيلاً للأمير ، طبقت فيه معايير منها رؤية الأمير وثقته فيمن يخلفه ، أو أن يكون ولي العهد أكبر أبناء الأمير ، أو حتى قوة ولي العهد وسيطرته على أمور الدولة .

٣. حاول أمراء بني أمية تدريب من يتولى ولاية العهد على أعباء الحكم ، وبالأخص قيادة الجيش ، لكي يضمنوا استمرار سيطرتهم على الأندلس ، وحفاظاً على استقرار هذه البلاد المجاورة لأعداء دائمي التربص بالأندلس .

٤. حدث تداول للسلطة في الأندلس في عصر الإمارة الأموية سبع مرات ، اتسم نصفها الأول بالصراع والمواجهة ، بينما كان الانتقال السلمي سمة النصف الثاني .

٥. كان لوصية الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل بجعل إمارة الأندلس لمن يصل قرطبة أولاً من أولاده ـــ بحسب هذه الرواية ـــ أقول كان لها الدور الأبرز في الصراعات والمواجهات التي حدثت مع كل تداول للسلطة على يد ابنيه سليمان وعبد الله البلنسي ، وما تكبدته الأندلس من خسائر جراء ذلك ، حتى وصل بهم الأمر إلى

الاستعانة بالفرنجة .

٦. كما كان لرفض الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم تحويل ولاية العهد من بكره محمد إلى ابنه عبد الله من حظيته طروب الدور الأهم في الانتقال إلى تداول سلمي للسلطة بدلاً من الصراع والمواجهة .

٧. حرص بنو أمية على استقرار حكمهم فى الأندلس مما جعلهم يقومون بتقديم مبايعة أمير جديد للأندلس على دفن الأمير المتوفى ، حتى يضمنوا استقرار عامة الشعب تحت قيادتهم .

٨. من خلال دراسة مراسم تداول السلطة وانتقالها من أمير إلى الذي يليه ، يتضح أن هذه المراسم كانت قواعد متبعة تبناها بنو أمية من فترة حكمهم للمشرق واستمرت إلى ما بعد عصر الإمارة الأموية في الأندلس .

انتهت فترة عصر الإمارة الأموية للأندلس واقعياً ، إلا أنها ظلت تاريخياً فترة من العلامات الفارقة ليس فى تاريخ الأندلس فحسب ، وإنما في التاريخ الإسلامي عموماً ، ننظر إليها .. ونستعلم منها .

والله الموفق ،،،

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم .

أولاً : المصادر :

ابن الأبّار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ) :

ـ الحلة السيراء ، تحقيق د / حسين مؤنس ، ط دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) :

ـ الكامل في التاريخ ، مراجعة وتصحيح د / محمد يوسف الدقاق ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت ٥٥٩هـ)

ـ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ط عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق د/ إحسان عباس ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت ٤٦٩هـ) :

ـ المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق د / محمود علي مكي ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) :

ـــ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ـــ المعروف بتاريخ ابن خلدون ، تقديم د / عبادة كحيلة ، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٧م .

ـــ مقدمة ابن خلدون ، ط دار ابن خلدون ـــ مصر (بدون تاريخ)

ابن الشباط : محمد بن علي بن محمد (ت ٦٨١هـ) :

ـــ وصف الأندلس وصقلية المعروف بـ(صلة السمط وسمة المرط) تحقيق د / أحمد مختار العبادي ، ط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١م .

ابن عذارى : أحمد بن محمد المراكشي (ت ٧١٢هـ) :

ـــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق / ج . س . كولان ، ليفى بروفنسال ، ط دار الثقافة العربية ـــ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م .

ابن غالب : محمد بن غالب الأندلسي (عاش في القرن السادس الهجري) :

ـــ فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، تحقيق د / لطفي عبد البديع ، ط مطبعة مصر ١٩٥٦م .

ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ) :

ـــ تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق / إبراهيم الإبياري ، ط دار الكتب الإسلامية ـــ دار الكتاب المصري ـــ القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ـــ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

لسان الدين بن الخطيب : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت ٧٧٦هـ) :

ـــ أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق / ليفي بروفنسال ، ط دار المكشوف ـــ لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٥٦م .

مجهول :

ـــ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق د / محمد زينهم محمد عزب ط دار الفرجاني ـــ الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

المراكشي : عبد الواحد بن علي بن تميم (ت في القرن السابع الهجري) :

ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق د / محمد زينهم محمد عزب ، ط دار الفرجاني ـ القاهرة ١٩٩٤م.

المقرى : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ) :

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق د / إحسان عباس ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) :

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق د / أحمد كمال زكي ، مراجعة د / محمد مصطفى زيادة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .

ياقوت الحموي : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) :

ـ معجم البلدان ، ط دار الفكر ـ بيروت (بدون تاريخ) .

ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

حمادة : د / محمد ماهر :

ـ الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية (٦٤ ـ ٨٨٧هـ/ ٦٨٣ ـ ١٤٩٢م) " دراسة ونصوص " ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

دوزي : رينهرت :

ـ المسلمون في الأندلس ، ترجمة د / حسن حبشي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م .

سالم : د / السيد عبد العزيز :

ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ،

ط مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية (بدون تاريخ) .

ــ في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، ط مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية ١٩٩٨م .

الشعراوي : د / أحمد إبراهيم :

ــ هياج الربض ثورة شعبية على الحكم الأموي الأندلسي ، بحث منشور بندوة الأندلس ــ الدرس والتاريخ ، برعاية كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية ، ورابطة الجامعات الإسلامية ــ مصر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

ضيف : د / شوقي :

ــ عصر الدول والإمارات في الأندلس ، ط دار المعارف ــ مصر (بدون تاريخ) .

العبادى : د / أحمد مختار :

ــ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ط مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية ١٩٩٧م .

عنان : محمد عبد الله :

ــ دولة الإسلام في الأندلس ، ط مكتبة الخانجي ــ القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

ــ تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م .

الفقي : د / عصام الدين عبد الرءوف :

ــ تاريخ المغرب والأندلس ، ط مكتبة نهضة الشرق ــ مصر ١٩٨٤م .

فكري : د / أحمد :

ــ قرطبة في العصر الإسلامي ــ تاريخ وحضارة ، ط مؤسسة شباب الجامعة ــ الإسكندرية ١٩٨٣م .

كحيلة : د / عبادة عبد الرحمن رضا :

ـ تاريخ النصارى في الأندلس ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

ـ القطوف الدواني في التاريخ الأسباني ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

ـ المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

كولان : ج . س :

ـ الأندلس ، ترجمة / إبراهيم خورشيد ـ د / عبد الحميد يونس ، حسن عثمان ، ط دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

مسعد : د / سامية مصطفى :

ـ التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره في سقوط الأندلس ، ط عين للدراسات والبحوث الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

مؤنس : د / حسين :

ـ معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م .

النعنعي : د / عبد المجيد :

ـ تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ـ التاريخ السياسي ، ط دار النهضة ـ بيروت (بدون تاريخ) .

اليسوعي : لويس شيخو :

ـ المنجد ، ط دار الشروق ـ بيروت ، الطبعة ٢٧ (بدون تاريخ) .